آفاق جديدة في تطوير النظام الجامعي: بنية العلوم الإنسانية، وتقليص الهوة بين التعليم ما قبل الجامعي

التعليم بصفة عامة قاطرة التنمية والتطور لمختلف الأمم والمجتمعات، لذا نجد معظم الدول الرائدة كان أولى اهتماماتها إصلاح النظم التعليمية والتربوية. والإصلاح التعليمي قد يبدأ من القاعدة بإصلاح التعليم الأولي والابتدائي، ثم الثانوي، ثم الجامعي، وقد يبدأ من التعليم الجامعي ثم باقي الأسلاك، ولكل إصلاح أهميته وأثره في تجويد مداخل ومخرجات العمليات التعلمية التعليمية والتربوية بصفة عامة، وبما أن الحديث سيكون عن التعليم الجامعي فإن أهمية هذا الإصلاح وبعض مداخله وأهم القضايا الجديرة بإعادة النظر والإصلاح جاءت في هذا البحث وفق ما يلي:

التعليم الجامعي فضاء التكوين المعرفي، والتمرس المنهجي، وصقل الشخصية البحثية وبناؤها، ومن خريجيه يكون الإطار المشرع للقوانين في الهيئة التشريعية، والمدرس لمختلف الأسلاك التعليمية، لذا يعتبر إعداد الجامعة هو إعداد للمنظومة التعليمية برمتها من مختلف الجوانب؛ حتى تتمكن من تحقيق وظيفة التكوين، ومساعدة الطلاب على الإبداع، والابتكار في تخصصاتهم حسب قدراتهم. وقد قسم البحث إلى محورين كبيرين:

المحور الأول: إعادة التقسيم الداخلي للعلوم والتخصصات؛ ما بين علوم أقصى درجات التحصيل فيها أن يمتلك الطالب معرفة ذاك الحقل، وعلوم أعلى درجات التعلم فيها أن ينتج الطالب المعرفة في ذاك الحقل. فبينت المقصود بالبناء الداخلي للعلوم، والإفادة الحاصلة من هذا التقسيم، والمقصود بالبناء الخارجي للعلوم الإنسانية: إعادة النظر في بنيتها تقسيما بين علوم ندرسها لنساهم فيها إنتاجا وابتكارا، وعلوم ندرسها لتكون وسيلة للإنتاج العلمي والمعرفي.

المحور الثاني: تجسير العلاقة بين المراحل التعليمية المختلفة وتقليص الهوة الحاصلة بينها.

وفي هذا المحور قد ركزت على أمور رأيتها مهمة لبناء الجسر المكسور بين المراحل التعليمية حتى نحقق لدى الطالب الجامعي أمرين: تعليم التعلم ليكون الطالب هو من يتعلم ويحسن البحث، ثم الإنتاج والابتكار، فعالجت المحور في مدخلين:

أولا: مدخل تعليم التعلم، ومن المعيقات التي ينبغي تجاوزها في هذا المدخل؛ اختلاف المواد المقررة في السلك الجامعي على التي اعتاد عليها المتعلم في الأسلاك التي قبلها، اختلاف طرق الاشتغال بين الأساتذة في السلك الجامعي والأسلاك التي قبلها، إدراج مادة "مناهج البحث" في المراحل التعليمية الأولى قبل الجامعة، وهي أساسية في بناء عقلية منهجية علمية للمتعلمين، وتنمي مهارات بحثية يفتقرون إليها في كل التخصصات.

ثانيا: مدخل الإنتاج والابتكار، ومن المعيقات التي ينبغي تجاوزها في هذا المدخل؛ ضبابية التوجه لدى الفئة المتعلمة قبل سلك الجامعي، وهو ناجم عن ضبابية العلاقة بين مواد الأسلاك قبل التعليم الجامعي، محورية الطالب في البحث والتكوين الجامعي، تغيير نظرة المدرس للطالب؛ فالطالب ليس ذلك المتعلم الذي ينتظر بشغف المعارف فقط، بل ينتظر المعرفة ويتتوق للطريقة الموصلة لتلك لمعرفة، تحرير الطلبة من المطبوعات، وربطهم بالمكتبة عن طريق المصادر والمراجع.